أمعقول أن تجهله؟! إنه مشهور!

«بقلم: جمان عكل»

أشعر أنّي كمن (يغنّي في الطاحون). أقول كلاماً قاله كثيرون قبلي ويقولونه الآن وأنا أكتب هذه الكلمات، فما الفائدة من التكرار؟

ماذا استجدّ هذه المرّة؟ آه، وسم مقاطعة صفحات المشاهير على الوتج*. وأنا لستُ من المتابعين للأوسمة، ولا للأخبار، ولا للمشاهير. ولا صفحات الطبخ ولا التنظيف ولا التربية ولا الطب ولا الهوايات ولا الترفيه ولا... أنا متابعة لشؤون العالم الحقيقيّ الذي أعيش فيه.
لكنّ هذه الأشياء تقفز في وجه المرء بمجرّد أن يفتح صفحة ما ولو حتى كانت محرّك بحث!
ولمّا رأيتُ الوسم واشتداد الأمر بين القوم، بدأتُ تصفّح لوائح المقاطعة، فلم أعرف واحداً ممن وجدتُهم فيها، لا عرباً ولا أجانب.

إلا قلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، الذين عرفتهم من كثرة التكرار. فصورهم وأسماؤهم وأخبارهم تقفز في وجه المرء رغماً عنه. وبعد ربع ساعة من التصفّح والقراءة السريعة لما يدور حول هذا الوسم، أصابني الملل.
وتشكّل مللي في أسئلة تقليدية جدّاً، كنتُ أظنّ إجاباتها معروفة لدى الجميع.

السؤال الأوّل: من الذي قرّر أنّ المشهور مشهور؟
والسؤال الثاني: لماذا قد يحفل أيّ شخص بمتابعة من يسمّى مشهورا؟
أما السؤال الثالث فكان: هل متابعة المشاهير تؤثّر في نفس الإنسان سلباً أم إيجاباً؟
وجاء السؤال الرابع: ما هو المرجع المعتمد لتقييم هذا التأثير؟
وتبعه السؤال الخامس: إنّ المرجع له مقاييس، فهل هذه المقاييس ثابتة أم متغيّرة؟ وكيف نثق بها؟

وقبل أن أجيب نفسي على أيّ من تساؤلاتي، عدتُ إلى معاجم اللغة، نعم.. فكلّ شيء يبدأ من الحرف الذي نكتب به فكرتنا.

ووجدتُ معنى الشهرة الأصلي: ظهور الشيء في شُنْعَة حتى يَشْهَره الناس. والشُنعة -لو أنّ هنالك من لم يفهم- هي القُبح!

* الوتج: اختصار وسائل التواصل الاجتماعيّ.

فإجابة السؤال الأوّل: إنّ الناس جعلوا المشهور مشهوراً، بفعلٍ ظهر منه ابتداءً، وكان قبيحاً منكراً. هذا لو أُطلقتْ الكلمة ولم تخصّص، فيقال: اشتهر فلان ببلاغته. فتكون شهرته في فعل حسن.
ومن طريف واقع الوتج، أنّ الناس كانتْ تكتب: نحن الذين جعلنا من هؤلاء مشاهير ونستطيع أن نسحب منهم هذه الشهرة.

وهذا يدفعنا لما يليه: لماذا جعلتم منهم مشاهير؟ ما هي الفائدة التي حصلتمُ عليها بهذه المتابعة، وهذا الدعم، وهذا التصفيق؟
إن نزعة الإنسان للاصطفاف/الانتماء هي نزعة فطرية، وهي في ذاتها إيجابيّة لو تمّ توجيهها لصالح الفرد.
لماذا لا أقول وصالح المجتمع؟ لأنّ صالح الفرد أساساً لا يتعارض مع صالح المجتمع، بل هو الذي يبنيه.
صالحهُ لا مصالحه.

وهنا ننتقل للسؤال الرابع: كيف نقرّر هذا الصالح ونفصله عن المصالح؟

والإجابة: لسنا نحن من نقرّر، لأنّ البشر جميعا متساوون في الخِلقة، ولا يمكن لمخلوق أن يقرّر من ذاته ما يصلح له.
هذه الحقيقة البسيطة الفطرية التي يدركها طفل دون السابعة، ينكرها اليوم بلايين البشر، مدّعين أنّ لهم الحرّية في تقرير ما يصلح لهم.

إنّ **السؤال الخامس** يجيب ما قبله، فمقاييس المخلوقين متغيرة دوما، ولذا لا تصلح أن تكون مرجعيّة.
ونحن بحاجة مقاييس ثابتة من خالقٍ يُغيّر ولا يتغيّر. ولو بسّطنا الأمر أكثر وجعلناه من بُعدٍ واحد يلائم واقع الوتج المسطّح الضحل، فإنّ الكلام يتلخّص في عبارة واحدة: إنّ أية فكرة أو دعوة مجتمعيّة لم تقم على أساس دينٍ من الخالق، سيُكتب لها الإخفاق.
ونحن نعرف أنّ ديننا هو الحقّ، فهو إذاً مرجعيّتنا الأولى والأخيرة في هذا الأمر.

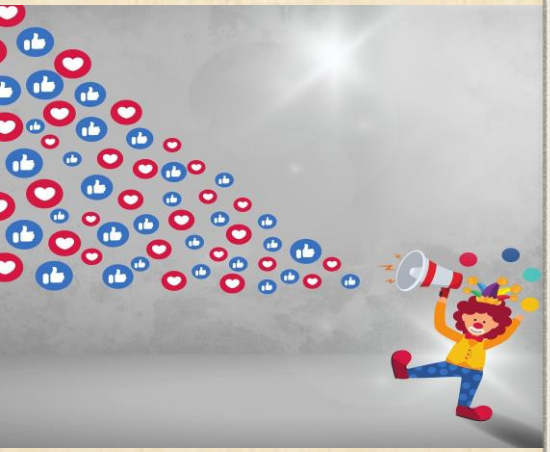

ولنقس عليه الآن بوضوح: في أيّ سجلّ من الحسنات أو السيّئات توضع متابعة هؤلاء؟
النوايا لها حسابها، والأفعال لها حسابها. والنيّة الحسنة يعلمها الله ويثيب عليها، ولكنّ الأقوال والأفعال لا تكذب. ولا يصحّ تحييدها أو تفسيرها بالظنّ.
فما هو الظنّ الحسن في من تضع لها الف صورة شخصية في أوضاع مختلفة ليراها كل من يريد -لا كل من تريد هي-، وتقول إنها محجّبة فأين المشكلة؟ وأن الناس تراها في الشارع هكذا فلا بأس. بل من الذكور -وليسوا رجالا- من يقول إنها حرّة لأنّها جميلة وهي تجعل الناس تنعم برؤية هذا الجمال، نعم.. بهذه البجاحة، فلو أنها قبيحة وعرضت نفسها لشنّعوا عليها واضطهدوها علانية أيضا.

ومن يغنّي ويصعد المسرح فيسمع من الجماهير من يهتف: نعشقك، نموت عليك.. ويستمرّ فيما يفعل، فعليه وزر عمله، ووزر كلّ من تبعه وأحبّه ومال إليه، لا ينقص من أوزارهم شيئاً.
كلّ إشارة إعجاب توضع على صورة فيها ما يؤذي المسلم في دينه، هي ذنب. بل كلّ مشاهدة، لأنّ المرء لا يتجرّأ على المعصية إلا بألفتِها.

عقّدناها وضيّقنا الدنيا على الناس؟، أبداً.. الدنيا واسعة والله، إنّما الكثرة يفضّلون ترك هذا العالم الرائع، ويحشرون أنفسهم خلف الضبّ في جحره!